بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان أفضل تكريم، كرمه، وميزه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء :٧٠] .

ومنزلته الرفيعة تظهر من كونه خليفة لله في الأرض تلك المنزلة التى اشرأبت إليها أعناق الملائكة وتشوفت إليها أنظارهم.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :٣٠] .

ومن أجل هذا سخر الله سبحانه وتعالى الأرض للإنسان، ومهدها له، وبسطها من أجله، وهيأها لسعيه، وجعلها له ذلولا، ليمشى في مناكبها، وينتفع بأنعمها، ويسعى في جوانبها، مبتغيا في ذلك فضل الله، ليقيم سنته، ويظهر عجائب صنعه، وأسرار خليقته، وبدائع حكمه، ومنافع أحكامه.

وحتى تستقيم له تلك الخلافة منحه الله العقل والإرادة، وأرسل له الرسل، وأنزل الكتب فضلا منه ونعمة.

«ولن يتم هذا الاستخلاف إلا إذا بقى النوع واستمرت حياته على الأرض يزرع ويحصد ويصنع، ويبنى ويعمر، يؤدى حق الله عليه، ولكي يتم ذلك ركب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز النفسية تسوق بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فردا، وبقاءه نوعا. وكان من هذا غريزة البحث عن الطعام التي بإشباعها يبقى شخصه»(١).

ولم يتركنا الله سبحانه وتعالى مع هذه الغرائز بدون ضوابط أو قيود، وإنما حد لنا حدودا وشرع لنا شرائع على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيان الحلال والحرام الذي به تتسق الحياة، وتنتظم حياة الأفراد والكون.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: **«وكما أعطاه الله تعالى هذه المواهب والأحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خليقته، وملكه الأرض، وسخر له عوالمها، أعطاه أحكام وشرائع حد فيها لأعماله وأخلاقه حدا يحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض، فهى تساعده على بلوغ كماله»**(٢).

فالتحريم والتحليل تشريع وهو من حق الربوبية، فمن انتحله لنفسه كان مدعيا للربوبية أو كالمدعى لها، ومن اتبع في ذلك فقد اتخذ ربا (٣).

ولذلك نعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى حيث وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١]

روى الترمذي وحسنه عن عدى بن حاتم - رضي الله عنه - قال: **«أتيت النبي ﷺ** وفي عنقي صليب من ذهب - حيث إنه كان يدين بالنصرانية قبل

(١) د. يوسف القرضاوى: الحلال والحرام في الإسلام ص ١٤٤، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٦٩م.

(٢) تفسير المنار جـ١ ص ٢١٧، طبعة الهيئة العامة للكتاب.

(٣) المرجع السابق جـ٧ ص ٢٥.

اعتناقه الإسلام- فقال: يا عدي.. اطرح عنك هذا الوثن. وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣١] ... ثم قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه» (١).

وفي رواية أخرى: «أن عدى بن حاتم حين سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية قال يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم. فقال ﷺ: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم».

كما نعى القرآن الكريم على المشركين الذين افتروا على الله وحرموا وحللوا بغير الله وإذنه.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس :٥٩] .

وقال سبحانه:

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل :١١٦] .

فالإنسانية حين انحرفت عن شرع الله ووحيه ضلت الطريق وحادت عن الصراط المستقيم، ووضعت مبادئ وقوانين للغرائز الإنسانية تتفق وأهواء البشر، سواء في ذلك من انحرف من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وحرم على نفسه طيبات الله، أو من ضل من الوثنيين والمشركين ونادى بالإباحية المطلقة وأطلق لشهواته وغرائزه العنان بدون حد أو قيد.

وسوف نكتفي في هذه الدراسة ببيان الجانب الأول وذلك حيث نزعت

(١) أخرجه الترمذي في سننه (الجزء الخامس) (كتاب تفسير القرآن) (الباب العاشر ص ٢٧٨)، حديث رقم ٣٠٩٥، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية، ط. الحلبى سنة ١٩٧٥م.

بعض الطوائف في المسيحية وغيرها من الأديان الوضعية الأخرى إلى تحريم طيبات الله وتعذيب النفس، واحتقارها، وحرمانها من أنعم الله، مدعين بأنهم يفعلون هذا تقربا إلى الله.

فهم قد عنوا بالتقشف والتبتل وحرموا على أنفسهم الطيبات، وعطلوا القوى الإنسانية، وادعوا أن التقرب إلى الله محصور في تعذيب النفس وترك حظوظ الجسد، وهذا هو ما يسمى بالرهبانية وقد رأينا أن نعالج هذه القضية من جوانبها المتعددة، مبينين موقف الإسلام منها خاصة وأننا لم نجد - حسب علمنا - أن أحدا من المسلمين قد عنى بها وأفرد لها كتابا أو بحثا مستقلا.

هذا وقد التزمنا في هذه المعالجة بالمنهج القرآني وبوصاية الله لنا:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل :١٢٥] .

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت :٤٦]

«وبالله التوفيق»

«وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

التمهيد

معنى الرهبنة

معنى الرهبنة

لقد تعرض المسيحيون في القرون الأولى لألوان من الاضطهاد والتعذيب على أيدي اليهود، والرومان.

وحين اعتلى (قسطنطين) (٣٠٦- ٣٣٧م) عرشَ الإمبراطورية الرومانية أظهر تعاطفا شديدا تجاه المسيحيين، وغير وجه السلطة الرومانية إزاء هؤلاء، فبعد أن كانت تنظر إليهم على أنهم مارقون، وتنفر منهم وتقاومهم أينما وجدوا، وتألب الشعب الروماني عليهم أينما ثقفوا. أصبحت تبدى لهم عطفا، وتصدر قرارات التسامح الديني لهم، وتحرص على ولائهم والتقرب إليهم.

وفي هذه الأثناء اعترف قسطنطين لأول مرة بالديانة المسيحية، ولذلك بدأ نفوذ هذه الديانة يزداد تدريجيا.

وفي وسط هذه الظروف نشأت حركة دينية كانت في أول أمرها مستقلة عن الكنيسة، ولكنها لم تلبث أن أصبحت جزءا أساسيا من النظام الكنسي المسيحي، وهى **«حركة الرهبنة والديرية»**.

والرهبنة أسلوب من الأساليب التى استخدمها بعض المسيحيين في التعبير عن إيمانهم بالمسيحية.

ويذكر المسيحيون أن الرهبنة كان لها أكبر الأثر في تاريخهم وفي تفكيرهم وسلوكهم.

ولذلك أردنا أن نعرض لهذه الحركة لبيان نشأتها وتطورها، ومبادئها، وأصلها، وموقف الإسلام منها.

* * *

معنى الرهبنة:

الرهبنة أصلها من الرهبة أي الخوف، يقال: رهب يرهب رهبة أي خاف.

والراهب هو المتعبد في صومعة من النصارى، يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهدا فيها، معتزلا أهلها. ومصدره الرهبة، والرهبانية.

والرهبانية منسوبة إلى الرهبنة بزيادة الألف، وهى كالاختصاء، واعتناق السلاسل، ولبس المسوح وترك اللحم وما أشبه ذلك مما كانت الرهبانية تتكلفه.

قال ابن الأثير: هي من رهبنة النصارى، قال: وأصلها من الرهبة أي الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب[١].

فمدلول الكلمة يعني الخوف والرهبة، وهى أطلقت على النصارى وقصد بها عيشة الفرد عيشة انعزالية في خلوة كاملة، تاركا أشغال الدنيا وزاهدا فيها، متكلفا في ترك ملاذ الدنيا وطيباتها، متعمدا في تعذيب النفس والجسد.

الرهبنة في اصطلاح النصارى

الرهبنة عند النصارى لا تخرج عن المعاني السابقة غير أنهم أضافوا أن المقصود من التعذيب الذي يقوم به الراهب العبادة، والطاعة.

يقول د. حكيم أمين: (المقصود بالرهبانية طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس في خلوة فردية تامة بقصد العبادة) [٢].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ص ١٧٤٨ - ١٧٤٩، ط دار المعارف سنة ١٩٧٩م، راجع أيضا: المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣٧٦، القاموس المحيط جـ ١ ص ٧٩ الطبعة الثانية ط. الحلبى، سنة ١٩٥٢م.

(٢) د. / حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية ص ١ ط القاهرة سنة ١٩٦٣م.

ويضيف د. رءوف حبيب أن الزهد والتنسك واختيار الفقر طوعا من معاني الرهبنة، فيقول: (الرهبنة معناها: الزهد والتنسك - والانعزال والانفراد بقصد التبتل والعبادة مع اختيار الفقر طوعا)[١].

وجاء في كتاب (تاريخ الأمة القبطية): الرهبنة هي نذر التبتل إلى الله مع اختيار الفقر طوعا واعتزال العالم للتعبد [٢].

ويرتبط بالرهبنة ما يسمى بـ (الديرية).

والديرية نسبة إلى الدير:) وهو البيت أو الموضع الذي يخصص لسكنى الرهبان أو الراهبات والالتجاء إليه للتعبد[٣].

والديرية:) هي التقاء جماعات من الرهبان واجتماعهم في مكان بعيد عن العمران والانقطاع فيه للعبادة مع تنظيم شئونهم من حيث العبادة وتحقيق مطالبهم الضرورية في الحياة[٤].

* * *

(١) د. / رءوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم ص ٢٣ مكتبة المحبة.

(٢) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية جـ٢ ص ٩٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٢٢م.

(٣) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٣.

(٤) د. / إبراهيم العدوى: المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ص ٧١ مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٨٠م.